

## "الموتيف".. إرثُ الجَدَّاتِ الماسيِّ

كتابة وتصوير: إيمان مرزوق\*

في علبة خشبيّة عتيقة؛ مكسوّة بالمخمل الأزرق؛ تُخفيه..  
إنّه كنزها الثمين؛ الذي ورثته عن والدتها ذات الأصول التركيّة،  
"الموتيف أوعوا تبيعوه!"، كانت وصيّتها. قطعة فنيّة كهذه،  
تبقى إرثاً غالياً تحفظه العائلة جيلاً بعد جيل.  
كان "موتيف" الألماس جزءاً أساسياً من "شبكة" العروس في  
العائلات الشاميّة العريقة، إلى جانب خاتم الألماس والحلق،  
والسوار.



"الموتيفات"، ليتمّ استئجارها مقابل مبلغ ماليّ معين  
يتمّ الاتفاق عليه، لتلبسه العروس أو إحدى النساء  
المدعوّات للحفل. وثمة طرائف وحكايات تُروى عن  
هذا التقليد منها: أنّ إحدى السيّدات دُعيت لعرس  
قريبتها، وفي الحفلة تفاعت أنّ "شبكة الألماس"  
التي قدّمها العريس لعروسه، هي شبكتها التي  
فقدتها منذ مدّة! وهكذا انقلب العرس إلى فضيحة  
بعد أن اكتشفوا أنّ العريس لصّ محترف!  
وفي رواية شبيهة؛ تُذكر سيدة أخرى كيف تسبّب  
الألماس بطلاقها! عندما طلبت صديقتهّا منها أن

الفنون  
الشعبية  
لذا ليس غريباً أن يكون الألماس حاضراً  
بقوّة في كثير من الأغاني التراثيّة الشاميّة،  
والقدود الحليّة التي تعتبر فنّاً يعكس واقع  
المجتمع. ومن تلك الأغاني:  
(أول عشرة محبوبتي.. يا عيني.. هُداني خاتم  
ألماس... هادا قصدي ومطلوبي.. يا عيني.. وهادا  
اللايق بين الناس..).  
(يا لابس الألماس قلبك قاسي.. هواك وجّع راسي  
خايف من الله).  
(يا طيرة طيري يا حمامة.. وانزلي بدمر والهامة..  
هاتي لي من حبي علامة.. ساعة وخاتم ألماس  
يكفي عذابي حرام والله).  
(ما بنزل ما بنزل.. يا دا دا.. ما بنزل إلا يحلق  
ألماس..).  
(جبلي وجبلي يا ماما جبلي.. الحلق الألماس قال  
يلبلي..).  
(بيدقلك شك الألماس.. آه يا عيني.. أخذوك يا  
حبيب قلبي ياويل ويلى).  
(جبلي الألماس يلبسني.. على عنقي رشرشني..  
كلامه حلو حلو.. كلامه حلو حلو إلو لذه..).  
كانت "شبكة" الألماس، دليلاً على وجاهة العروس  
وعلو شأن العريس (القادر على تلبيس عروسه  
الألماس!). ولأنّه لم يكن متاحاً للجميع، فقد كان  
هناك من يؤمن هذه الحليّ الماسية الثمينة وخاصّة

\* كاتبة أردنيّة

ومرّصة بـ"الفلمنك" أيضاً، مثل: الخواتم، والبروشات التي صُممت تبعاً للزخارف النباتية التي كانت شائعة عند الأتراك، أو على أشكال الطيور كالتاووس والنسر، وهناك تصميم لقلادة على شكل قلب يحمله عصفور، يعدّ أيضاً، من التصاميم الدارجة آنذاك. فضلاً عن بعض القطع التي تلبس على الجبين. وعن سعر هذه القطع في السوق ومدى إقبال الزبائن عليها قال سَكجها :

هناك زبائن من نوع خاص لهذه القطع الفريدة، وغالباً ما يكونون من السيّدات الكبار في السن، خاصة أولئك اللواتي ينحدرن من أصول تركية، أو عراقية، كما يرغب بعض الأجانب باقتنائها، أما قيمة كل قطعة فتعتمد على أمور أساسية أهمها القَدَم، وجمال التصميم الفنّي، وحجم الألماس المستخدم فيها وأصالته؛ فقطعة كهذا "البنتاتيف" على سبيل المثال، مُمكن أن تُشترى من الزبون بـ 500 دينار، ولكنها لا تُباع بأقلّ من 1000 دينار. وأياً كانت قيمتها الشرائية في السوق فهي لا تُعدّل قيمتها المعنوية والفنية لدى العائلات التي توارثتها، وحافظت عليها صوتاً لذكرى الجدّات، وعدتّ بيعها "عيباً"!



تُعبّر "موتيفها" الألماس لتلبسه في عرسها، نظراً لضيق حال العريس. نزلت السيدة عند رغبة صديقتها، وأعارتها "الموتيف"، وبعد انتهاء العرس، ادّعت العروس أنّه ضاع! وعندما علم الزوج أن زوجته "فَرطت" بهديّة عرسها دون إذنه ومعرفة؛ طلقها! يُعدّ "الموتيف" القطعة الأُميّز في "شبكة" العروس، ويعود ذلك لدقّة الصناعة، وبراعة التصميم وجمالها.

أما التسمية فتعود لكلمة Motifes الفرنسية، والتي تُستخدم للتعبير عن عدّة معاني مترابطة: زخارف، نقش (تصميم فنّي)، مُخطّط، صورة، رسم، مَوْضوع فِكْرة رئيسية في عمَل فنّي أو أدبيّ. (بحسب معجم المعاني الفرنسي). كما يُستخدم اللفظ نفسه Motif في اللغة الإنجليزية بمعنى: نموذج مكرّر، جملة موسيقية مكرّرة، فكرة أساسية.

يلبس "الموتيف" قلادة في سلسال من الرّرد الموشى بالألماس، ويتخذ شكل وحدة زخرفية نباتية دقيقة التفاصيل، وعن تاريخ هذه القلادة يقول باسم سَكجها المختصّ بهذا النوع من الحلي يعود تاريخ هذا النوع من المجوهرات لزمان الأتراك وخاصة في المدة من 1890-1910، وكانت تتزيّن به نساء السلاطين والعائلة الحاكمة، ونساء الطبقة المخملية، وقد اشتهر الصياغ اليهود في حلب بتصنيعه. وعن تقنية صنع "البنتاتيف" (بحسب تعبيره) بين سَكجها أنّه "يُصاغ يدوياً، من ذهب عيار (9-10-11)، ليأخذ اللون المَعْتَق، وتُحلى الزخارف النباتية فيه بنوع من الألماس يُطلق عليه "الفلمنك" أي (قشرة الألماس). وهناك جهاز خاص لفحص أصالة الماس، بطول كف اليد تقريباً، وينتهي برأس مدبب يشبه القلم، يتمّ وضعه على حجر الألماس المراد فحصه، وتتمّ مراقبة المؤشر الذي يتدرج من اللون الأخضر البرتقالي، فالأحمر، فإذا وصلت قراءة المؤشر للون الأحمر، فإن الألماس المستخدم حقيقي وأصلي".

كما أشار إلى أنّ هناك أشكالاً وتصاميم أخرى بالمواصفات العامة ذاتها، وتعود للزمن ذاته،